همس البداية

نصوص تلتقي... وأصوات تكتب نفسها

كتاب جماعي ضمن فعالية

(همس البداية)

إشراف وتنظيم:

دعاس نعمة

سنة نشر: 2026

تقديم:

هذا الكتاب ثمرة لقاء أقلام اجتمعت في فعالية واحدة، واختلفت

في الأسلوب، لكنها التقت في الشغف، وفي الإيمان بأن للكلمة

الصادقة أثرًا لا يُنسى.

بين صفحاته، تنبض نصوص كُتبت بروح الشباب، وبجرأة

البدايات، تعبّر عن التجربة، والمحاولة، والبحث عن الصوت

الخاص.

هو عمل جماعي لا يزعم الكمال، لكنه يحتفي بالصدق، ويمنح لكل

قلم مساحته ليكون كما هو.

نضعه بين يدي القارئ كأثرٍ مشترك، وذكرى لبداية كُتبت... وهمسٍ

تحوّل إلى صوت.

وما بين الهمس والصوت، وُلد هذا الكتاب ليشهد أن البدايات الصادقة لا تكون صغيرة.

الأقلام المختارة لهذا العمل:

أحلام – الجزائر

سليم عيلان الغمري – اليمن

سلسبيل أونيسي – الجزائر

زواوي أسماء – الجزائر

محمود إسماعيل – سوريا (إدلب)

سارة أحمد سليمان – السودان

سامية مزوح – الجزائر

صحراوي ابتسام – الجزائر

خديجة قاضي – الجزائر

نورا البوعناني – المغرب

همس البداية:

مع بداية عام 2026، لا أبحث عن ضجيج الإنجاز،
بل عن همسة صادقة تُعيدني إلى نفسي.
أبدأ هذا العام بقلبٍ يريد القرب من الله،
وبروحٍ اختارت أن تحفظ القرآن لا كحروفٍ فقط،
بل كحياةٍ تُتلى سلوكًا وصبرًا ونورًا.
تجاوزتُ إغلاقاتٍ كثيرة، بعضها في الطرق،
وأغلبها في داخلي.
تعلّمتُ أن كل خطوة – وإن كانت متعثّرة –
تحمل درسًا،
وأن الخطأ ليس نهاية، بل بداية مهارة جديدة.
أسعى للنجاح في دراستي،
لأن العلم طريقٌ لا يُهزم صاحبه،
وأعتني بصحتي،
لأن النفس القوية لا تسكن جسدًا مُهمَلًا.
أتعلم، وأتدرّب،
وأغرس في أيامي علمًا شرعيًا
يربطني بالسماء قبل الأرض،
فحلمي ليس عابرًا:
أن أكون معلّمة قرآن،
أن أكون سببًا في نورٍ لا ينطفئ.
هذه ليست وعود سنة،
بل همس بداية
كتبه القلب
ووعدتُ به الله.

من عمق الصمت تُولد الكلمات:

في البدايةِ كان الصمتُ.
صمتٌ أشبهُ ببذرةٍ غائصةٍ في تربةِ الظلام، لا حركةَ فيها ولا صوت، لكنها تحملُ في أغوارها نبضَ حياةٍ لم تأتِ بعد.
كنتُ أراقبُ هذا الصمتَ في لحظاتِ الفجرِ الأولى، حين يكونُ الكونُ في حالةِ ترقّب، وكأن الوجودَ كلَّه ينتظرُ همسةً ما لتتحرّك.
فهمتُ يومها أن البداياتِ الحقيقيةَ لا تُعلنُ عن نفسها بالأبواقِ، بل تتدفّقُ كالنبعِ الهادئ من تحت الصخور.
كانت البدايةُ خيطَ نورٍ رفيعٍ يتسلّلُ من بين ستائرِ الغرفةِ المغلقة.
لم يكن يريدُ إبهارَ أحد، ولا حتى لفتَ الانتباه.
كان ببساطةٍ يُوجد، ويُمارسُ حقَّه الطبيعي في الوجود.
مثلي أنا الآن، أكتبُ من داخلِ صمتي، من داخلِ ذاك الحيّزِ الداخليّ الذي يختزنُ كلَّ الأحلامِ المختبئة.
في البدايةِ كان الخوفُ أيضًا.
خوفٌ من الخطوةِ الأولى، من الكلمةِ الأولى، من الانكشافِ والأسئلة.
لكنني تعلّمتُ أن الخوفَ رفيقٌ طبيعيٌّ لأيّ ميلاد.
فالزهرةُ تخافُ على بتلاتها الرقيقةِ من ريحِ الشتاء، والبحرُ يتردّدُ قبل أن يُقبّلَ الشاطئ، والقلبُ يترنّحُ قبل أن يهمسَ بأوّلِ حب.
لكنها جميعًا تبدأ رغم ذلك، لأن في البدءِ قوةً غامضةً تتجاوزُ كلَّ التردّد.
تذكّرتُ أيامَ الطفولة، حين كنا نبدأ رسوماً على دفترِ المدرسة، بخطوطٍ غير واضحة، وألوانٍ تخرجُ عن الحدود.

لم نكن نحكمُ على بداياتنا، لم نقُل: «هذا جميل» أو «هذا سيّئ»، كنا نرسمُ فقط، ونبدأ من جديدٍ كلَّما أخطأنا.
لماذا إذن، حين كبرنا، صرنا نخشى البدايات؟
لماذا صار الخطُّ الأوّلُ على الصفحة البيضاء يُشبهُ حكمَ التاريخِ علينا؟
في البدايةِ وحدي.
أجل، نبدأ دومًا وحدنا، حتى لو كنا محاطينَ بالعالمين.
فالرحلةُ الداخليةُ لا تُشرَكُ فيها النفوس، واللحظةُ التي تُقرّرُ فيها الروحُ أن تولدَ من جديد هي لحظةُ خلوةٍ مع الذات.
لكن هذه الوحدةَ ليست فراغًا، بل هي فضاءٌ مليءٌ بالإمكانيات، كالسماءِ الصافيةِ التي تنتظرُ طيرانَ أوّلِ عصفور.
ها أنا الآن، أُمسكُ قلمًا وكأنني أُمسكُ يدَ طفلٍ يخطو أوّلَ خطواته.
الورقةُ البيضاءُ أمامي كالأفقِ المفتوح.
أكتبُ ببطء، لأن البداياتِ تحتاجُ إلى أن نتنفّسَ معها، أن نعيشَ كلَّ كلمةٍ وكأنها عالمٌ قائمٌ بذاته.
ليس المهمُّ كمُّ الكلمات، بل صدقُ النبضِ الذي جاءت منه.
قد يكونُ نصّي هذا مجرّدَ خاطرةٍ عابرة، وقد يكونُ بدايةَ شيءٍ أكبر.
لا أعلم.
لكنني أعلمُ أنني حين أنتهي من كتابته، سأكونُ قد وضعتُ قدمًا في طريقٍ لم أكن أعرفُه من قبل.
وهذا يكفي.
فالبداياتُ ليست نقطةً ننطلقُ منها لنصلَ فقط، بل هي أيضًا المساحةُ التي نكتشفُ فيها أننا قادرون على السفر.
وكلُّ رحلةٍ عظيمةٍ في التاريخ، بدأتْ يومًا ما، بهمس.

همسٌ يشبه الولادة:

لم تأتِ البدايةُ صاخبةً، لم تُشعلِ السماء، ولم تطرقِ الأبوابَ بقوّة، بل جاءت على هيئةِ همسٍ خافت، كأنها تخشى أن تُوقظَ الخوفَ النائمَ داخلي. كنتُ آنذاك ممتلئةً بالتردّد، أحملُ أحلامًا أكبرَ من قدرتي على النطقِ بها، وأُخفي في صدري محاولاتٍ فاشلة لم يرها أحد... إلا قلبي.

كلُّ شيءٍ من حولي كان يوحي بالنهاية، لكن شيئًا صغيرًا في داخلي كان يُصرّ على أن النهايةَ ليست هنا، وأن البداياتِ لا تُعلنُ عن نفسها، بل تتسلّلُ بصمتٍ إلى الروح. تعلّمتُ أن البدايةَ ليست شجاعةً كاملة، بل قرارٌ مرتجفٌ بالاستمرار، وأن أوّلَ خطوة لا تحتاجُ يقينًا، بل حاجةً صادقةً للنجاة.

كنتُ أبدأ كلَّ يومٍ من جديد، أُرمّمُ كسوري بصبر، وأجمعُ شتاتَ نفسي كما تجمعُ الأمُّ طفلَها بعد البكاء. واليوم، حين أنظرُ إلى الوراء، أدركُ أن أجملَ ما في رحلتي لم يكن الوصول، بل تلك الهمسةَ الأولى التي قالت لي بهدوء: ما زال فيكِ متّسعٌ للحياة.

سلسبيل أونيسي

بداية النهاية:

آه يا شهر ديسمبر، كم امتزجت فيك مشاعر البدايات والنهايات؛ ها أنا ذا أستجمع ما تبقّى من قواي، ممسكةً بالدفتر والقلم، ناظرةً إلى الأفق البعيد، أنفض الغبار على مضض. للحظاتٍ ودِدتُ أن أرمي بها في سراديب الذاكرة، محاولةً استنزاف آخر رمقٍ تبقّى لدي، وأزيل اللثام عمّا يختلج في جوفي من مشاعر، وأبوح بما يجول بخلدي للورقة والقلم، لتخطّ أناملي آخر زفراتها على نهاية الفصل، وتظلّ دروسًا وشواهد أستقي منها الخبرات لحكايةٍ جديدة.

بعد مدار أربعة فصولٍ كاملة، تذوّقتُ فيها حلاوة الجُذلان ومرارة الخذلان، ومررتُ بالكثير من المحطات، غمرتني فيها عناية الله، جعلتني أصبر وأتجاوز العسير، فوجدتُ العوض الجميل، وتعلّمتُ الكثير. لأجدني ألامس جوهري، وأبصر مواطن القوّة داخلي، وأدركتُ حينها أنني أستحقّ الأفضل دائمًا.

كم وددتُ أن أزجّ بما يُثقل كاهلي بعيدًا عن فكري، وأحتفظ بما يجعل خريف عمري ربيعًا مزهرًا، لأفتتح به دفترًا جديدًا من العام، عنوانه: «الصبر والأمل والعزيمة تصنع المعجزات».

وكلّ ما جاد به قلمي وخطّته أناملي، تنهيدةٌ غيضٌ من فيض مشاعري وما يكتنز في جعبتي؛ فبعض الحكايا كالمرايا، يحتضنها القلب، وتعجز عنها الريشة والقلم، وتترجمها الزفرات إلى عَبَرات.

إعتراف عدمي من همسات البداية:

لم أؤمن يومًا بأن للكتابة رسالة،
فالرسائل حيلةٌ كي نتحمّل الفراغ.
نكتب لأن الصمت أطول مما نحتمل،
ولأن التفكير بلا كلمات نوعٌ آخر من العذاب.
في الكتابة لا مكافأة،
ولا نهاية عادلة،
فقط محاولات فاشلة لتأجيل الانكسار.
نستيقظ كلّ يوم ونكتب وكأننا نعرف لماذا،
لكن الحقيقة أكثر برودة:
نكتب لأن التوقّف يشبه الموت البطيء.
أن تكون كاتبًا
يعني أن تعيش مع الشك أكثر مما تعيش مع اليقين،
وأن تقبل أن لا أحد ينتظرك،
ولا حتى أنت.
الكلمات لا تُنقذ أحدًا،
ولا تُصلح العالم،
هي فقط تجعل الخراب أكثر قابليةً للفهم.
وربما...
لا معنى لكلّ هذا،
لكننا نستمر،
ليس أملًا،
بل لأن الاستسلام لا يغيّر شيئًا.

نهايةٌ على هيئة مرآة مكسورة:

في آخر الممر، كانت تقف الساعة،
تحدّق بي كأنها تعرف كلَّ ما لم أقله.
لم أودّع الزمن، بل ودّعني هو،
ترك على كتفيَّ غبار خيباتٍ لم أستطع نفضه.
مرّت الأيام كقطيعِ غيومٍ ثقيلة،
تُمطر حين أضحك، وتختفي حين أحتاج ظلَّها.
ضحكتُ كثيرًا، لا لأنني سعيدة،
بل لأن البكاء صار ترفًا لا أملكه،
ولأن الصمت كان أحنّ من كلّ الكلمات.
في كلّ ليلة، كنتُ أخلع وجهي،
أعلّقه على مسمار الهدوء،
وأتحدّث مع ظلّي عن أشياء لا تُقال،
عن أحلامٍ ذبلت قبل أن تُزهر،
وعن وجعٍ لا يراه أحد، لكنه ينام بجانبي كلَّ مساء.
تعلّمتُ أن النجاة لا تعني الحياة،
بل أن تستمرّ في التنفّس، حتى لو كنتَ تغرق.
وها أنا أكتب... لا لأُشفى،
بل لأتأكّد أنني ما زلتُ قابلةً للكسر،
وما زال في داخلي صوتٌ لم ينطفئ.

تُركتُ مع غزة:

غزة… كلّما نُطِق اسمكِ دمعت عيني دون إذن، وكأنّ القلب يعرف قبلي أن هناك خذلانًا أكبر من الدمار، خذلان أمةٍ رأتكِ تنزفين واختارت الصمت. قبل الحرب، كنتِ وجعًا مؤجَّلًا، نراكِ من بعيد ونقول: «الله يكون في عونهم»، ثم نُكمل يومنا. كنتِ وحدكِ، وأنا كنتُ أظنّ أن الصمت أقلّ ألمًا من الحقيقة.

ثم جاءت الحرب، فلم يبقَ شيءٌ مستور. رأيتُ الخونة بوضوح، يلبسون ثوب الإخوة، يتحدّثون عنكِ كأنهم يعرفونكِ، وكأن دمكِ ليس ثقيلًا على أيديهم. أحاطوكِ… ليس ليحموكِ، بل ليُحصوا أنفاسكِ، ليغلقوا الأبواب، ويقولوا للعالم: «لقد فعلنا ما نستطيع». كذبوا. كنتِ وحدكِ، وكان الجوع أصدق منهم.

في الحرب، كبر الأطفال فجأة، وشاخت الأمهات في ليلة، وكان الموت أسرع من الدعاء. حتى السماء بدت متعبة، وكأنها لا تعرف ماذا تفعل بكل هذا الدم. ثم سكت القصف. قالوا: انتهت الحرب. لكنني أعرف… أنتِ تعرفين… أن ما بعد الحرب أقسى.

تركوكِ تجمعين الركام، وحدكِ. تبحثين عن بيت، عن صورة، عن أخٍ لم يكن أخًا. يا غزة، علّمتِني أن الخيانة لا تأتي دائمًا من عدو، بل ممن ينادونكِ باسمكِ ويغلقون الباب خلفكِ. وعلّمتِني أن الوحدة ليست غياب الناس، بل غياب الصدق.

ستبقين، لا لأن الطريق سهل، بل لأنكِ لم تتعلّمي يومًا كيف تنكسرين. وأنا… سأبقى شاهدًا، لأن تركككِ مرةً أخرى خيانةٌ لا أحتملها.

سجين الأفكار:

الإنسان سجين أفكاره الخاطئة، فلا يوجد إنسان كامل في هذه الحياة؛ فلكلٍّ أخطاؤه وزلّاته، والكمال لله عزّ وجل. غير أنّ العيب لا يكمن في الخطأ ذاته، بل في الاستسلام له، وعدم السعي إلى إصلاح الفكر الذي يُنتج هذا الخطأ. فالأفكار غير السويّة، إن تُركت دون مراجعة، اجتاحت العقل، وحوّلت الإنسان من شخص ناضج ومتّزن إلى شخص متهوّر سريع الانفعال.

ومن هنا، يصبح تصويب الخطأ في حدّ ذاته نجاة، ومحاولة الإصلاح أوّل طريق السلام. ومن رحمة الله بنا أن جعل حتى التفكير في التوبة توبة، رحمةً منه بضعفنا، وفتحًا لباب الرجوع إليه في كل حين. فكلّما نضج الإنسان وكبر عقله، أراح نفسه أوّلًا، لأن الطمأنينة تبدأ من الداخل، من القلب والفكر معًا.

وشفاؤك الداخلي لا يقف عندك وحدك، بل ينعكس على بيئتك ومن حولك. أمّا الإصرار على عدم التغيير، فيجعل الإنسان خاسرًا لنفسه قبل غيره؛ إذ تُدمّر الأفكار الخاطئة النفس، وتغلقها في زاوية ضيّقة، وتزرع فيها الضيق والبغض وشرارة الفتنة. وحينها، ينشغل المرء بمراقبة ما عند الناس، ويغفل عمّا أنعم الله به عليه من فضل واسع ونِعَم عظيمة.

فإصلاح الفكر هو بداية إصلاح النفس، ومن أصلح فكره، صلحت حياته في الدارين.

حين تنقلب الزهور أشواكًا:

لطالما كانت البدايات تحمل وعدًا حقيقيًا، مليئًا بباقاتٍ من الزهور الجَمِيلة. تلك الوعود المليئة بحياةٍ جيدة، بعالم السعادة الأبدية، بعد طرد جنود التعاسة. ولكن فجأة تظهر جنود التعاسة مرةً أخرى، لتحتلّ البداية السعيدة، وترمي بها بعيدًا، لتأتي النهاية القاتمة، المُحمّلة بالأسى.
وهكذا تسقط الأقنعة عن وجه الزمان، فإذا بالوعود مجرّد صدىً لسرابٍ بعيد، وإذا بالزهور التي زيّنت الدرب تنقلب أشواكًا تُدمي الخطى.
تأتي النهاية لتطوي سجلات الأمل بصمتٍ موحش، وتُعلن أن السعادة لم تكن إلا استراحةً قصيرة لمحاربٍ أضناه الانتظار، قبل أن يستسلم لواقعٍ مريرٍ لا يرحم.

همسة بداية:

رغم أن كل بداية تحمل في طياتها
وجعًا دفينًا وذكرياتٍ لا تتركنا، إلا
أن الحياة تبقى دومًا توازنًا دقيقًا
بين الأخذ والعطاء.
كل ألمِ بداية، وكل ذكرى ماضية،
تخلّف بصمةً لا تُمحى، تُذكّرنا بأن
الطريق لا يخلو من التحديات،
لكنها تُعلّمنا الصبر، وتزرع فينا
القوة لنمضي قدمًا.
هذه هي الحياة بكل قسوتها
وجمالها، رحلةٌ من الألم والأمل،
من الفقد والفرح، تُحفَر فينا دروسًا
لا تُنسى، وتفتح لنا أبواب التغيير
والتجديد.
فلنحتضن أوجاع البدايات، فهي
التي تُشكّل عمق وجودنا، وتمنحنا
القدرة على المحبة، والعيش
بصدق، رغم كل ما مضى.

خاتمة:

لم تكن هذه النصوص سوى

همساتٍ خرجت من القلب،

بدايات كُتبت بصدق، ووجع، وأملٍ

خافت.

قد نختلف في الطرق، لكننا نلتقي

دائمًا عند لحظة البدء.

وإن انتهت الصفحات هنا،

فإن همس البداية باقٍ...

في كل قلبٍ يجرؤ أن يكتب من

جديد.